أَضْواءٌ عَلَى مَدارِسَ إسلَامِيّةٍ داثِرَةٍ فِي حَوَاضِر وَمَدائِنَ عَرَبيّةٍ زَاهِرَةٍ

■ إبْراهِيم فاضِل النّاصِري ■
باحث - العراق

الملخص

تقوم هذه الدراسة الحضارية على مُسلِمة ثقافية علمية مفادها أنَّ (المَدرَسَة) في الإسلام هي مُستحدَثة حَضَاريّة، أصبحت الحَوَاضِر العَرَبيّة والإسلَامِيّة ومنها الحَوَاضِر العِرَاقيّة الكبيرة تستلزمُ استحداثها صروحًا عِلمِيّة وتَعليمِيّة، وصارَ عُلَمَاء الإسلام في كُلِّ الأصقاع والأنحاء يتسابقون إلى تأسيسها ويتبارون في العناية والاهتمام بها أيَّما عناية.

اتخذت هذه الدراسة عنوان (أضواء على مدارس إسلامية داثرة)، وتسعى مباحثها إلى التّعريف بجملة من المَدَارِس ودور التّعليم التي أنشأها ورعى وجودها العُلَمَاء المُسلِمون في مدن عِرَاقيّة وفي حَوَاضِر عَرَبيّة في عهودٍ مشرقة من عصرِ الدّولة العَرَبيّة الإسلَامِيّة.

إن أهميَّة الدِّرَاسَة مردُّها أنَّهَا تُسهم في الكِتَابَة عن تاريخ التّعليم في عالمنا العَرَبيّ والإسلَامِيّ وتستجلي أخبار أصحاب الأفهام والعقول فيه، وقد قصدت بها الكشف والإبراز لجهود جماعة معرّفة من النّاس اختاروا مركب التّعليم الدّيني، وهي تأتي استجابة موضوعية لدواعي التّوثيق والجمع للتراث العِلمِيّ لبلدة تلكم الجماعة المعرّفة وهي تكريت العتيقة.

كما اجتهدتُ بأن يسعَ ميدان الدِّرَاسَة عموم أرض العروبة التي حطّت بها رحالُ تلكم الجماعة المَعرِفِيّة المكافحة السّاعية في دروب الصّلاح والفضيلة والتّنوير فجاءت دراستي ممتدة إلى خارج العِرَاق لتأخذ مكانها ضمن حَوَاضِرَ عَرَبيّة في مشارقِ البلاد العَرَبيّة ومغاربها.

الكلمات المفتاحية: دور علم. مدارس داثرة، حضارة اسلامية

مستهل

تأسيسا على مُسلِمة أنَّ (المَدرَسَة) في الإسلام هي مُستحدَثة حَضَاريّة، تسهم في حركة نشر الدّين الإسلَامِيّ وترسيخه، فكرًا وعقيدةً بمناهجه الصّحيحة مثلما هي مصنع حيوي لتصنيع وتأهيل ملاكات التّبشير والنّشر والتّفسير يختص بإعداد المُدَرِّسين والمُعلِمِيّن المُسلِمين الذّين سيتكفلون بالمهام المنوه عنها، ابتدع مظهر أو صرح المَدرَسَة في سفر الحَضَارَة العَرَبيّة الإسلَامِيّة الزّاهرة.

وهكذا اصبحت الحَوَاضِر العَرَبيّة والإسلَامِيّة ومنها الحَوَاضِر العِرَاقيّة الكبيرة تستلزم استحداثها كصروح عِلميّة وتَعليمِيّة، وصارَ عُلَمَاء الإسلام في كُلِّ الأصقاع والأنحاء يتسابقون في تأسيسها ويتبارون في العناية والاهتمام بها كمبتدع حَضَاريّ أيَّما عناية، وكان من بين عُلَمَاء الإسلام الذّين عُنوا بإقامةِ وتأسيس ورعاية المَدَارِس هم العُلَمَاء التّكريتيّون، اذ كانَ للمحدثين والفقهاء والنقلة والمقرئين ممن كانوا قد نبغوا وازهروا في الانحاء العَرَبيّة والإسلَامِيّة، بعد أن قطنوا كبريات حَوَاضِرها الزّاهرة طلبا للرزق وللعلم؛ الأثر الواضح والدور المهم في استحداث ورعاية كثير من مناهلِ العلمِ في تلكَ الأصقاع وفي ضمان استمراريّة عطائِها العِلمِيّ، فقد نبغ وبرز وأزهر مَن عُرف منهم بالفضلِ والعلم والصّلاح وأدّى خدمات عِلميّة جليلة يشار لها بالبنان في طريق النّهوض الحَضَاريّ لدولة الإسلام الزّاهرة، ولَعَلَّ من بين أهمّ ما أنجزوه، تأسيسُهم للمدارس ولدور التّعليم المستقلة ورعايتها وإدارة حركتها التَعليمِيّة بتميز ونجاح كبيرين، وبذلك ما إن دار دولاب الزّمان دورة واحدة حتى أضحى أولئك العُلَمَاء المُسلِمون مَقصدًا عِلمِيًّا يشدُّ إليه الطّلاب رحالهم من شَتَّى أرجاء أرض الإسلام لينهلوا منهم العلم، وأضحت مُؤَسّساتُهم التَعليمِيّة التي ابتكروها في مصر والشام والجزيرة والحجاز منهلا عِلميّا ومَعرفِيّا ثرًّا فضلًا عن كونِه ينبوعًا يُخرّج العُلَمَاء من فُقَهاء ومُحدّثين وقُرّاء ممن تحتاجهم حركة التّقدم الحَضَاريّ للأمّة، ولقد استطعت التّعرف على عدد من المَدَارِس التي أقاموها على نفقتهم وأداروها بذاتهم .

تسعى دراستي إلى التّعريف بباقة من المَدَارِس ودور التّعليم التي أنشأها ورعى وجودها العُلَمَاء المُسلِمون في مدن عِرَاقيّة وفي حَوَاضِر عَرَبيّة في عهودٍ مشرقة من عصرِ الدّولة العَرَبيّة الإسلَامِيّة.

إن أهميَّة الدِّرَاسَة مردُّها أنَّهَا تُسهم في الكِتَابَة عن تاريخ التّعليم في عالمنا العَرَبيّ والإسلَامِيّ وتستجلي أخبار أصحاب الأفهام والعقول فيه، وقد قصدت بها الكشف والإبراز لجهود جماعة معرّفة من النّاس اختاروا مركب التّعليم الدّيني، وهي تأتي استجابة موضوعية لدواعي التّوثيق والجمع للتراث العِلمِيّ لبلدة تلكم الجماعة المعرّفة وهي تكريت العتيقة.

كما اجتهدتُ بأن يسعَ ميدان الدِّرَاسَة عموم أرض العروبة التي حطّت بها رحالُ تلكم الجماعة المَعرفِيّة المكافحة السّاعية في دروب الصّلاح والفضيلة والتّنوير فجاءت دراستي ممتدة إلى

خارج العِرَاق لتأخذ مكانها ضمن حَوَاضِرَ عَرَبيّة في مشارقِ البلاد العَرَبيّة ومغاربها.

مصطلح المَدرَسَة

المَدرَسَة[1] ظاهرة حَضَاريّة خالدة في التّراث الإسلَامِيّ، قديمة في التّاريخ الانساني، راسخة في المأثور العَرَبيّ، تعود أوائلها إلى بدايات الحضارات قبل ألوف السّنين وهي سلسلة موصولة لم تنقطع في مطمح الإنسان منذ ابتكار المعرفة وهي بذلك مُنشأة مَعرفِيّة ممتدة في عمر الإنسانية. والمَدَارِس جمع المَدرَسَة وهي اصطلاحا: موضع التّفكر والتّعلم أي موضع تلك المُذاكَرة والقراءة. أو هي الأماكن المنظّمة التي يأوي إليها طلابُ العلم وتدرّ عليهم فيها الأرزاق وتتولى التّدريس لهم فيها فئة صالحة نابغة من المُدَرِّسين والعُلَمَاء الأكفاء المُختَارين بعنايةٍ من الواقفينَ عليها وبُناتها.

وإن الدِّرَاسَة اصطلاحا: هي مذاكرة العلم والتّفكر به وفيه، أي درسُه وتشريحُه وفقهُه وهي التّمكن من الأمرِ المَعرفِيّ المرادِ وعيُه بدقةٍ وإمعان.

ولقد كانتْ الدّيارات والمَعابد والمَواسم والأسواقُ والأنديةُ قبل الإسلام بمنزلةِ المَدارس. ثم أشرقت الأرض بنور الإسلام ودخل النّاس في كنفه وكان غار حراء ثم بيت النّبيّ (ص) فالمَسجِد أولى المَدَارِس في دولة الإسلام ثم سار المُسلِمون في مناكب الأرض ودخلوا المَشارقَ والمَغاربَ وكانت المَسَاجِد والجَوَامِع وحلقات الذّكر ومَجَالِس العُلَمَاء وكتاتيب الشّيوخ وبيوت الحُكماء والمشايخ وزوايا المتبتلين والرُّبط ودكاكين الورّاقين وتُرب الصّالحين ومشاهد الأولياء أهمّ مواطن التّعليم والمُدَارَسَة وأبرز أمكنةِ التّلقين والتّلقي والدرس والمدارسة.

ثم جاء أوانُ ابتداعِ المَدرَسَة كوحدةٍ تَعليمِيّة مُستقلة مُبتكرة وكانت هيئةُ المَدَارِس في الجملة لا تختلفُ عن هيئةِ المَسَاجِد والجَوَامِع وما ذكرنا آنفا في تَرجَمة وتحقيق مهمة التّعلم.

أن المَدَارِس في تاريخ الحَضَارَة العَرَبيّة الإسلَامِيّة[2] هي جامعاتٌ بحسب مفهوم الجامعاتِ اليومَ أو أنَّهَا مدارسُ كُبرى.

وفي العِمَارَة الإسلَامِيّة هي بناء يفترض فيه ألا يكونَ لهُ مئذنة ولا منبر ولا تقام فيه صلاةٌ جامعة وهو يُخصّص لتدريسِ علوم الدّين على مَذهَب واحدٍ أو أكثرَ ولغرض وإمكانيات المنشئ أو الرّاعي أو الواقف.

بدأت المَدَارِس بشكل مِعمَاريّ بسيط تغلب عليه تخطيطات المَسَاجِد ثم تطورت عمارتها وأصبحت خارطتها متعددة المشتملات والملاحق وهيكلها العام يتوسطه فناء يُسَمَّى الصّحن تطل عليه جميع تفاصيل العِمَارَة الأخرَى.

ولقد أضحت كلمة مَدرَسَة واضحة المفهوم والمقصود مع فجر النّضج والازدهار الحَضَاريّ للدَّولَة العَرَبيّة الإسلَامِيّة.

---

(١) انظر / التّربية والتّعليم في الإسلام، سعيد الديوه جي ص٧٤/ العمارة العَرَبيّة الإسلَامِيّة، نشوء المَدَارس، كامل حيدر، ص٢٣

(٢) الحَضَارَة العَرَبيّة الإسلَامِيّة هي باختصار تعني ازدهار مدنيّة العَرَب في الإسلامِ في القُرونِ الوُسطى،

والمَـدَارِس برغـم اختلافها بالحجم والسـعة فإنها تشترك بخمس صفات:

أولاهـا. أنَّ إيـوانَ القبلةِ فيهـا كان أهمَّ وأكبرَ عناصرهـا المِعمَاريّـة وأحفَلَهـا نقشًـا وزخرفة وريازة.

وثانيتها. أنَّ هيئتها البنائيّة مستطيل أو مربع.

وثالثتهـا. أنَّ كُلًّا منهـا كان يعتمـد الاكتفـاءَ الذّاتي فـي الخدمة والإعانة بمعنـى أنَّهَا تحتوي على كُلّ أماكن وملاحـق المَنفَعَة والخدمة العامَّة والسّكن.

ورابعتُهـا. أنَّ معظمَهـا كان يشـتملُ علـى ضريح أو أكثـر وأنَّ موضعَه كان لا يقتطع جزءًا مركزيًّـا منها بل روعي فيـه أن يَنحصرَ في ركن مـن أركانِها وان يَحتـلَّ بناؤه قدرَ مـا تحتلُّه أي قاعة من قاعات دروسها وخدماتها.

وخامسـها. ان معظمهـا إن لم نقل كلها تقوم عنـد مـكان أو موضع طاهـر أو مبـارك أو عتبة مقدسة.

تاريخ نشأة المَدرَسَة

لقـد عنـيَ الدّيـن الإسـلَامِيّ الحنيـف بالعلم وبالتعلم كثيرا ونال المعلمون والعُلَمَاء المعنيون بالتعليـم فـي ظلِّـه الـوارف المكانـة والتّقديـر الكبيرين، كيف لا والله الحكيم قد أقسـم بالقلم: (ن والقلمِ ومَا يَسطُرون) [٣] وكيف لا والله العليم أول ما أنزل على حبيبِـه المُصطفى قوله تعالى: (اقـــرأ) [٤].

لقد ذكرَ رب العزة والجلالة العلم والعُلَمَاء في مئاتٍ من الآيـاتِ البيّنات المُحكَمـات كمثلِ قولِه تعالى:(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُـوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْـمَ دَرَجَاتٍ) [٥] وقولـه تعالى:(وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) [٦] وغيرها من الآيات البينات.

ولقـد تكلم الرّسـول الكريـم (ص) عن العلم والتّعليم والعُلَمَـاء كثيرًا وخصصت كتب الحديث الشّـريف أبوابًا خَاصَّـة في فضلِ العلـمِ والتّعلم إذ أنَّ الأحاديـثَ النّبَويّة الشّـريفة في فضل العلم والتّعلـم كثيرة ولَعَـلَّ من أهمها قولـه صلى الله عليه وآله (إنَّما بُعثتُ مُعلما).

وعلى أسـاس ذلك وفي ظله عُنيَ المُسـلِمون ومنذ عصر صدر الإسـلام بالتّعليم كثيرا وأحدثوا له الأماكنَ الخَاصَّة التي جاز لنا أن نسمّيها اليوم مُؤَسّساتٍ تَعليمِيّةً بغض النّظر عن سِمَتِها الأصل.

وقد مرت المُؤَسّسـات التَعليمِيّة والتّربوية في العالم الإسلَامِيّ بضوء ذلك بنموذجين تَعليمِيّين؛ الأول وكانـت تتكفل به مُؤَسّسـة الكتاتيب (جمع كُتَّـاب) وهـي المُؤَسّسـة التـي كانـت تختَـصّ بالصبيان وتعدُّ من المُؤَسّسـات التَعليمِيّة الأوَّليَّة التـي تؤهّـل للمَرحَلَـة الثّانيـة التـي كانـت تعد مُؤَسّسات تكميلية تخصصية تجتذب الكبار ممن حفظوا القرآن الكريم والسنن الشّريفة وفقهوهما في المُؤَسّسـات الأوَّليَّـة وممن تمكنـوا من تعلم القـراءة والكِتَابَـة والحسـاب ثم إن المُؤَسّسـات التَعليمِيّة المُختَصّة بالكبـار من العُلَمَاء قد مرت هي كذلـك بمرحلتيـن زمنيتين، الأولَـى هي تلك

(٣) القرآن الكريم، سورة القلم، الآية ١
(٤) القرآن الكريم، سورة العلق، الآية
(٥) القرآن الكريم، سورة المجادلة، آية ١١
(٦) القرآن الكريم، سورة طه، الاية١١٤

التي سـبقت ابتكار المَدَارِس والتـي كان التّعليم فيها يجري أما في الجَوَامِع بشـكل حلقات أو في خزائن الحكمة بشـكل زوايا أو في بيوت العُلَمَاء أو في دكاكين الوراقين... ولقد اسـتغرقت مدتها قرابة الأربعة قرون من الزّمان.

وتمثلـت المَرحَلَة الثّانيـة بابتـكار المَدَارِس ودور العلـم ومكاتب التّعلم المسـتقلة التي عدت أماكن تَعليمِيّة خَاصَّة. ولقد حصل ذلك في الرّبع الأخير مـن القرن الثّانـي الهِجريّ أو فـي الرّبع الأول من القرن الثّالث الهِجريّ.

وكانت الرّعاية لها فـي أول أمرها تعتمد على الأوقاف الشّـخصيَّة من أهل الخيـر والصلاح ثم آلتْ إلى الدّولة لتتولى الرّعاية والكفالة.

ويبدو إن فكـرة هذا الانفصال أو الاسـتقلال واتخـاذ الدِّرَاسَـة مبناهـا الخـاص فـي المـدن الإسـلَامِيّة إنمـا كانت من بنات أفـكار الإمام أبي حفـص الفَقيـه البخـاريّ (١٥٠-٢١٧هِجـريّ) الذي ورد أنَّه أنشـأ مَدرَسَة في بُخارى في حياته ثم نشـطت فكرة إنشـاء المَدَارِس بعـد هذا، فقد أنشئتْ مَدرَسَـة بنيسابور منذ بداية القرن الرّابع الهِجريّ أنشـأها الإمام أبو حاتم مُحَمَّد بن حبان التّميمي الشّـافِعيّ (٢٧٠ - ٣٥٤هـ). كذلك ورد أنَّ الخليفةَ العَبَّاسـيّ المُعتضد بالله كان قد أنشأ مَدرَسَة في أواخر القرن الثّالث الهِجريّ كما يذكر المَقريـزيّ بقوله:(إن الخليفـة المعتضد لما أراد بناء قصرِه الجديد في الشّماسـيَّة ببغدادَ استزاد الذّرع بعد أن فرغ من تقدير ما أراد، فلما سئل عن ذلك ذكر أنَّه يريد هذه الاستزادة ليبني فيها دورا ومقاصير لجلوس رؤساء كُلّ صناعةٍ ومَذهَب من مذاهب العلوم النّظريّة والعمليّة ليقصدها كُلّ مَن اختـارَ علمًا أو صناعةً ويأخـذ منها). وهذا يعني أنَّ المعتضـد كان يفكر بمشـروعِ جامعة كاملة في ذلك العهد الذي كان لما يزلْ يعتمد الدِّرَاسَـة في المَسجِد أو دكّان العالم، ولسنا ندري إن كانت فكرتـه هذه التي يسـوقها المَقريزيّ قد نفذتْ أم ظلت مجرد فكرة، لأنَّنـا لم نجد من المَصَادر مَن يُخبرنا بتحقّقها في العِرَاق بعهده غير أننا وجدنا مـن خلال المَصَادر ما يدلنـا على إن هذه الفكرة كانت أول ما تجسدت ونفذت في العِرَاق في عهد الوزير السّلجوقي نظام الملك الذي أنشأ المَدرَسَة النّظامية سنة ٤٥٩هـ. إي أن أقدم مَدرَسَة منشأة فـي العِرَاق يـؤول قيامها إلى عهـد الوزير نظام الملك أما في خارج العِرَاق فالأمر مختلف إذ لعل فكـرة المعتضد العَبَّاسـيّ تلك كانـت قد وجدت طريقها إلـى التّنفيذ منذ عهـده ولكن في أماكن أخر من العلم الإسـلَامِيّ، كمَدرَسَـة بخارى التي أنشأها أبو حفص، ولَعَلَّ المَدرَسَة السّامانية التي وردَ أنَّهَـا كانت قـد بنيت قبل سـنة ٢٩٧هِجريّة لخيـر مثال علـى ذلك، كذلك كان أمر دار السّـنة البسطاميّة بنيسابورَ لابن حبان.

ولعـل الدّاعي لابتـكار المَـدَارِس ودور العلم والتّعلـم المسـتقلة والخَاصَّـة هو اتسـاع أعداد المتعلِمِيّن وتوسـع آفاق التّعلم ومداركه بما بات يصعُـبُ علـى المَسـجِد وبيـت العالـم أو دكانِه اسـتيعابهم أو الإيفـاء بالغايـة ولكـن برغم ذلك التّطـور النّوعـي فلقد ظلـت المَـدَارِس أكثر من قرن ونصف مُؤَسّسـات تَعليمِيّة تابعة للمَسَـاجِد ومرتبطة بنهجها[٧].

(٧) انظر / موسـوعة حَضَارَة العـراق، التّربية والتّعليم، بشـار عواد معـروف، جـزء ٨، / التّربيـة والتّعليم في الإسلام، سعيد الديوه جي،

وعلى ذلك فلقد عرفت مدن العِرَاق التي عاصرت ذلك، ومنها مدينة تكريت التّاريخية موضوعة الدِّرَاسَة، تجربة قيام المَدَارِس الخَاصَّة ودور التّعلم المستقلة منذ مبتدأ ابتكارها في أرض الإسلام عامة وفي أرض العِرَاق خَاصَّة ثم إن هذه التّجربة في تلك المدن ومنها تكريت قد نضجت هويتها وتكاملت هيئتها واستقرت دعائمها في عهد الوزير نظام الملك الذي كان له الفضل في ترسيم هويتها المعنوية وترسيخ هيئتها الخططية ومنحها الرّعاية المادية والمعنوية الدّائمتين بعد أن كانت قبله محلات ارتجالية الخط ورعايتها إنما تعتمد على المُوقِفين وعلى مُدد أعمارهم.

ولقد مرت مدينة تكريت بكل مراحل التّطور النّوعي الذي مر فيه التّعليم في الحَضَارَة الإسلَامِيّة، ولَعَلَّ الإشارات التي تضمّنتها كتب الرّجال وكتب الأخبار خير شاهد على ذلك، ولَعَلَّ ما تبقى من ركام أو آثار بعض منشآتها التَعليمِيّة القديمة خير دليل على ذلك، ولعلي لا أخطئ إذا قلت أن بناية مزار الأربعين وان خربة تل محيسن وان ركام تل قبر منصور إن هي بتقديري إلا نماذج آثاريّة شاخصة ملموسة لما ذكرت من أخبار إذا ما أخذت بنظر الحسبان حكم عُلَمَاء الآثار في تاريخ هذهِ المَواقع الأثريّة بقولهم إنَّهَا من أقدم النّماذج الباقية لخطط المَدَارِس المتقدمة النّشأة في مدن العِرَاق.

هذا ولم يكتفِ العلماء ببناءِ المَدَارِس في مدينتهم تكريت بل كانت لهم مدارسُ أخرَى في الأنحاء والبلدات التي هاجروا إليها واستقروا فيها طلبًا للتجارة والعلم والأمان عُدَّ بعضها في نظر أهل الأخبار أولى المَدَارِس المُنشأة في تلك الأنحاء ولَعَلَّ المثال على ذلك هو أن المَدرَسَة التي بناها الزّنجيلي التّكريتيّ عند الحرم عدت من أوائل مدارس الحجاز كما أنّ المَدرَسَة النّاصرية التي أنشأها صلاح الدّين الأيُّوبيّ في مدينة القاهرة عدت أولى مدارس مصر.

خصائص المَدرَسَة

كانت للمدارس ودور الحديث ودور الإقراء بعض الخصائص التي تميزها عن باقي المنشآت الأخر في الدّولة والأمة ومن أبرزها نذكر[٨]:

١. إنَّ المَدَارِس كانت تعني الجامعات بكل ما يحمله اليوم مفهوم الجامعات من معانٍ، وهي تختَصّ بالكبار ممن أتمُّوا الدراسة الأوَّليَّة، أما ما يسبقها من دراسة أوَّليَّة أساس فكانت تتكفل بها مُؤَسّسة الكُتَّاب وجمعها كتاتيب وهي للمبتدئين حصرًا.
٢. إنَّ المَدَارِس في مقصدِها العامّ كانت تختَصّ بدراسة الفقه الإسلَامِيّ سواء منه على مَذهَب معين أو الذي يجمع بين مَذهَبين في الدِّرَاسَة وبعضها ما كان على أربعة مذاهب معا.
٣. أن دور الحديث كانت تعني المعاهد العالية بكل ما يدل عليه اليوم مفهوم المعاهد من معانٍ، وكانت أمّا دورًا مُستقلة في بعض الأحيان أو ملحقة بإحدى المَدَارِس في أغلَب الأحيان وهي تختَصّ باستنباط الحديث

(٨) موسوعة حَضَارَة العراق - المؤسسات التّعليمية/ الدكتور بشار عواد معروف، ص٥٩،

الصّحيح وجمعه بعد تصنيفه وتهذيبه وتخريجه.

٤. إن دورَ الإقراء القرآنيّ كانت تعني المعاهد العالية بكل ما تحمله مفردة معاهد من مَعَانٍ وكانت أما مستقلة المكان في بعض الأحيان أو من ملاحق إحدى المَدَارِس في أغلَب الأحيان، كما كانت تختَصّ بعلوم القراءات والتّلاوات والرّسم القرآنيّ والتّفسير.

٥. أخذت المَدَارِس طابعا مِعمَاريّا مشتركا وموحدًا فكانت متشابهة التّخطيط والبناء في العالم الإسلَامِيّ.

٦. إنَّ هندسة هذه المنشآت تقوم على وجود (الأواوين) الكبيرة التي تعدُّ قاعات درسٍ للتلاميذ (أي الصّفوف).

٧. إنها تضمّ أماكن لسكنى الطّلبة ومنامهم تُسمّى (الغرف) وغالبًا ما تكون في الطّابق العلويّ وأماكن لخدمةِ أغراض الطّلبة الدّراسيّة وتسمى (الحُجُرات) وغالبًا ما تكون في الطّابق السّفلي.

٨. إنها تحتوي مرافق خدمية حياتية كبئر الماء والحمّام والمَطبخ والباحة ودكاك جلوس.

٩. أنَّ الذي يقوم بإنشائها تاجر صالح أو عالم متمكن ماديًّا أو أمير عالم أو مهتم بالعلم.

١٠. إنَّ الشّهادةَ التي تمنحها المَدَارِس والدور تسمى (الإجازة العِلمِيّة) وهي بنوعين؛ أولاهما إجازة بالسَّماعِ والأخرَى إجازة بالرّواية.

١١. إنَّ مدّة الدِّرَاسَة فيها غَالبًا ما تَكونُ أربع سنوات بمعدل محاضرتين في اليوم.

١٢. المنهج المعتمد في المَدرَسَة يُسَمَّى (التعليقة).

١٣. يُخصّص للمدرّس فيها راتبٌ أو أجرٌ يُسَمَّى (جراية) ويُستخلص من الوقوف.

١٤. إن المُدَرِّس يُسَمَّى (استاذ الكرسي) أو الشّيخ وله فيها مساعدٌ يُسَمَّى (المُعيد) فالمُدَرِّس هو الذي يتصدّى لتدريس العلم من تفسير وحديث وفقه ونحو وتصريف وغير ذلك وله أسماءُ على أساس اختصاصه فهناك شيخ الحديث وهناك الفَقيه وهناك شيخ النّحو وهناك شيخ القراء.

١٥. المُعيد هو الذي يلي المُدَرِّس رتبةً، والأصل فيه أنّه يُعيد على الطّلبة ما ألقاه المُدَرِّس إليهم ليحسنوا حفظه وغالبًا ما يكون أكثر من مُعيد للمُدرّس الواحد.

١٦. تعتمد نفقات المَدرَسَة ونفقات إدارتها ورعايتها على نظام الوقف الشّخصي أو الوقف الدّيني الرّسمي الذي تتكفل به الدّولة.

١٧. كانت المَدرَسَة في أغلَب الأحيان تُسمّى باسم مُنشئِها وقلَّما تُعرف باسم مُدرسها أو باسم مكانها.

١٨. تُلحق بهذه المَدَارِس خزانةُ كتب (مكتبة) لها مسؤول يُسَمَّى الخازن.

١٩. يحتوي تخطيط بناء المَدرَسَة على مَسجِد يأخذ جدار القبلة فيه قاعدة رئيسة لتخطيط البناية واتجاه أركانها أي أن الجانب القِبليّ هو أساس تخطيط المَدرَسَة أو الدّار.

٢٠. يتوسطُ بناء المَدرَسَة أو الدّار فناءٌ مكشوف يتوسط المرافق الأخرَى ويكون شكله عادةً مربعًا أو مستطيلا وموقعه دائمًا خلف بيت

الصّلاة ويُسَمَّى الصّحن أو الفناء.

٢١. لـم يكن يشـترط فـي دخـول المَـدَارِس أو الالتحـاق بهـا سـنٌّ معينـة غيـر أن العمر المُناسـب الـذي كان يؤهـل الطّالب للدخول فيها هو العمرُ الذي يكون فيه الطّالب قد نال قسـطًا كافيًا من المَعرفة الأوَّليَّة والحفظِ في مُؤَسّسة الكَتاتيب التي تَسبقُها

٢٢. تسـتقبلُ هذه المَدَارِس الطّلاب من كُلّ أنحاء العالم الإسـلَامِيّ وإنَّ الجاذب لهم هو سمعة الشّيخ بها.

٢٣. إنَّ هيئـة إدارة المَدرَسَـة تتألـفُ مـن الناظر(العميـد) ومسـاعده الـذي يُسَـمَّى (المشـرف) والكاتب والإمام والخازن والقيم والمؤذن وعددٍ من المُستخدَمين.

٢٤. كانت المَدرَسَـة تشـتملُ على ضريح مبارك موضعه يأخذ ركنا لا يؤثر على خارطتها.

٢٥. كان للمدرس أو الشّـيخ الحريـة في اختيار المُؤلَّفات التي يُدرّسها لطلبته.

٢٦. كانت المَدَارِس تعقـد فيها المَجَالِس العِلمِيّة لرجـال العلـم والفكـر والأدب وتمنـح فيها الإجازات العِلمِيّـة لأكابر العُلَمَاء والمشـايخ وتقرأ فيها المقامات.

نماذج منتخبة لمدارس مندثرة

مَدرَسَة الثّغر الأولَى (الإسكَندَريّة):

هـي المَدرَسَـة الفِقهِيّة التي أسَّسـها ووقفها لطلبةِ العلم في ثغر الإسكَندَريّة الفَقيه والمُحَدِّث والتّاجر الكبير الصّالح سـراج الدّين عبد اللطيف بن رشـيد بن مُحَمَّد بن سـديد وقيل بن رشيد بن مُحَمَّد بن مسـند الرّبعي التّكريتيّ الكارمي نزيل الإسـكَندَريّة المُتَوَفَّى في سنة ٧١٤ هِجريّة ولقد أرادها أنْ تَكونَ مركز إشـعاع عِلمِيّ ودينيّ إذ إنه جعلها لتدريس علوم الحديث الشّـريف وتدريس الفقـه على المَذهَب الشّـافِعيّ[٩] ولقد تحولت في القـرن الثّاني عشـر الهِجريّ إلـى زاوية صغيرة للصّوفيّـة، ثم بعد ذلك تحولت إلى مَسـجِد لا زال قائـم حتى اليوم في منطقة البلقطرية عند قسـم الجمرك ويعرف محليا باسـم مَسجِد أبي علي ولا زالت إلى اليوم توجد بداخلها لوحة تذكارية عليها تاريخ إنشائها واسم مُنشئِها وفيها هذا النص:

{بسـم الله الرّحمـن الرّحيـم وإنَّ المَسَـاجِدَ للهِ فـلا تدعوا مع الله أحدا- أوقف هذا المَسـجِد المبـارك ودار الحديـث العبدُ الرّاجـي رحمةَ ربِّهِ عبـد اللطيف بن رشـيد التّكريتيّ لتـلاوة الكتاب العزيـز وقـراءة الأحاديـثِ النّبَويّة وطلـب العلم الشّـريف على مَذهَـب الإمام أبي عبـد الله مُحَمَّد بن إدريس الشّـافِعيّ -رحمة الله عليه - في شهر المُحرم سـنةَ ثمانٍ وسبعين وستمائة وصلى الله

(٩) الـدرر الكامنـة في أعيـان المائـة الثّامنـة، ابن حجر العسقلاني، ضبط عبد الوارث مُحَمَّد عَليّ، المجلد الثّالث والرابع، ص٢٤٨،

على سيدنا مُحَمَّد وعلى آلِهِ وأصحابه}[١٠]

مَدرَسَة الثّغر الثّانية (الإسكَندَريّة):

هي المَدرَسَة الفِقهيّة الشّافِعيّة التي عرفت بالمَدرَسَة التّكريتيّة أو بمَدرَسَة الثّغر الثّانية التي اختصت بتدريسِ الحَديث النّبَويّ والفقه على المَذهَب الشّافِعيّ ولقد بناها بثغر الإسكَندَريّة الإمام والفَقيه والمُحَدِّث والتّاجر الفاضل الكبير عبد اللطيف بن أحمَد بن مَحمُود بن أبي الفتح بن مَحمُود بن أبي القاسم سراج الدّين ابن الكويك التّكريتيّ الأصل، نزيل الإسكَندَريّة، المولود في سنة ٦٥٩ هِجريّة والمُتَوَفَّى في جمادى الأولَى من سنة ٧٣٤ هِجريّة في بلاد التّكرور[١١].

مَدرَسَة الكويك (الإسكَندَريّة):

وهي المَدرَسَة التي أشار اليها خليل بن شاهين الظّاهري المؤرّخ وأحد نواب الإسكَندَريّة في تاريخه الذي يتكلم فيه عن مصر في القرن التّاسع الهِجريّ: إذ ذكر عنها أنها مَدرَسَة مشهورة في الإسكَندَريّة وذكر أنّ بانيها الكويك كان من كبار تجّار الثّغر وأنَّه صرف على بنائها من ربح يوم واحدٍ من تجارتِه، ولقد جاءَ نصّ قوله: (حُكيَ أنَّهُ كان بالثّغر تاجرٌ يقالُ له الكويك، عَمَّر بها مَدرَسَة مشهورة الآن صرف عليها جملةً من مُتحصّل فائدة يوم واحد فقط)[١٢].

المَدرَسَة الكبيرة (القاهرة):

هي مَدرَسَة؛ الصّدر الكبير شرف الدّين مُحَمَّد بن الحُسَين بن مَحمُود بن أبي الفتح بن الكويك الرّبعي التّكريتيّ ثم المصري، الرّجل الصّالح والتّاجر المشهور بل من أعيان التّجار الكارمية في مصر، المُتَوَفَّى في سنة ٧٦٤ هِجريّة. أقامها في قاهرة مصر وجعلها دارَ حديثٍ وجعلَ لها أوقافًا كثيرة. ولقد عرفت بالمَدرَسَة الكبيرة في مصر[١٣]. ولعلها لا تعدو عندي إلا أنْ تَكونَ ذاتها المَدرَسَة الكويكيّة التي وردت في تاريخ مصرَ وتقع مقابل المَدرَسَة الكافورية بالقاهرة.

المَدرَسَة المفرجية (ماردين):

هي المَدرَسَة التي أنشئت في بلدة ماردينَ لتدريس الفقهِ على نفقة أختِ شاه رخ بن سكمان التي أقامتها لشخصِ القاضي الفَقيه المُحَدِّث الشّيخ علم الدّين عبد الرّحمن جمال الدّين أحمَد بن المفرج التّكريتيّ المتفقه بنظاميَّة بغدادَ، المُتَوَفَّى سنة ٥٧٦ هجريَّة، إذ ندبته فتولى التّدريس فيها مدة[١٤].

---

(١٠) تاريخ مدينة الإسكَندَريّة في العصر الإسلَامِيّ، جمال الدين الشّيال، ص٨٩،

(١١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثّامنة، ابن حجر العسقلاني، ضبط عبد الوارث مُحَمَّد عَليّ، المجلد الثّالث والرابع، ص٢٤٥،

(١٢) تاريخ مدينة الإسكَندَريّة في العصر الإسلَامِيّ، جمال الدين الشّيال، ص٩١،

(١٣) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثّامنة للحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، ضبط عبد الوارث مُحَمَّد عَليّ، المجلد ٣-٤، صفحة ٢٦١.

(١٤) تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، ابن الفوطي، ج٤ ص ٥٩١.

دار الحديث المُهَاجِريَّة (الموصل):

هي الدّار التي اختصت بتعليم الحديث النّبَويّ الشّريف، بناها في الموصل الفَقيه المُحَدِّث علوان بن مُهَاجِر التّكريتيّ المُتَوَفَّى سنة ٥٨٥ هِجريّة ثم رعاها بعده وَوقفَ عليها الوقوفَ الحَسنة والكتب النّفيسة حفيدُه الفَقيه المُحَدِّث معين الدّين أبو القاسم علي بن علوان التّكريتيّ الوزير بسنجار وصاحب الصّلاح والفضل والخير [١٥].

المَدرَسَة النّاصرية الأولَى (القاهرة):

هي أول مَدرَسَة فِقهِيّة قد أحدثت في مدينة القاهرة، وهي أول مَدرَسَة أنشئت بالديار المصريّة تحت إشراف الدّولة، ومحلُّها بجوار الجامع العتيق (جامع عمرو بن العاص) وموضعُها بالأصل سجنٌ كان يعرف بدار مَعونة جرى هدمُه وتشييدُها مكانه، والذي أحدثها هو السّلطان النّاصر صلاح الدّين بن نجم الدّين أيوب [التّكريتي][١٦] في أول المحرم من عام ٥٦٦ هِجريّ عندما كان وزيرا للعاضد. ولقد أوقفها للفقهاء الشّافِعيّة إذ كانت تدرس الفقه على المَذهَب الشّافِعيّ، وهي على قول المَقريزيّ: قد جعلت برسم الفقهاء الشّافِعيّة وتعد (أول مَدرَسَة عُمِلتْ بديار مصرَ الإسلَامِيّة) ولقد سميت منذ نشأتها بالمَدرَسَة النّاصرية نسبةً للناصر صلاح الدّين[١٧]. ولقد استمرت هذه المَدرَسَة في أداء رسالتِها إلى أيام المَقريزيّ، وقد زالت من الوجود اليوم، ومحلها أرض فضاء في الجنوب الشّرقيّ من جامع عمرو بن العاص بمصرَ القديمة.

المَدرَسَة الصّلاحية (القاهرة)

وهي المَدرَسَة الفِقهِيّة لعُلَمَاء الشّافِعيّة التي أمر ببنائها السّلطان صلاح الدّين في السّنة ٥٧٧ هِجريّة بجوار قبر الإمام الشّافِعيّ ولقد سماها بعض المؤرخين النّاصرية الثّانية[١٨].

مَدرَسَة الزّنجيليّ (مكة)

هي مَدرَسَة الأمير فخر الدّين عثمان بن عَليٍّ التّكريتيّ المشهور بالزّنجيليّ نائب عدن ولقد بناها في مَكَّةَ المُشرَّفة عند باب العمرة قبل عام ٥٨٣ هِجريّ ووقفها على مَذهَب الحَنفيّة في سنة ٥٧٩ وتعدُّ أول مَدرَسَة نظامية للفقهاء والمُحَدِّثين تبنى بمكة المكرمة وتعرف اليوم بدار السّلسلة [١٩].

---

(١٥) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي اصيبعة، ص٦٣٧.

(١٦) إنّ لقب التّكريتيّ الذي يلحق بأسماء الأيوبيين يأتي لأنَّ هذه الأسرة الحاكمة تنتسب مدنيًّا لتكريت، فصلاح الدين وأخواه الأكبر منه شاهنشاه وتوران شاه قد كانت ولادتهم في تكريت، وأبوهم وهو نجم الدين أيوب أصلُ اللّقبِ الأيّوبيّ وعنوانه كان قد وطن تكريت وحكم قلعتها يعضده في حكمِها أخوه شيركوه أسد الدّين الذي هو أيضًا كان من سكنتِها فضلًا على أن جد الأيوبيين الأول واسمه شادي والد أيوب وشيركوه هو كذلك كان قد وطن تكريت بعد استقدامه إليها من دوين لحكم قلعتها ثم انه لما توفي دفن فيها.

(١٧) مساجد القاهرة ومَدَارسها، الدكتور أحمد فكري، جزء ٢، ص٥٢/ المَدَارس الإسلَامِيّة في مصر، ص٧٦،

(١٨) المَدَارس الإسلَامِيّة، أيمن شاهين، ص ٧٦،

(١٩) الدارس في تاريخ المَدَارس، النعيمي، الجزء الأول، ص٤٠٤

المَدرَسَة الزّنجارية (دمشق)

هي المَدرَسَة التي بناها في دمشق الأمير أبو عمرو فخر الدّين عثمان بن عَليٍّ التّكريتيّ نائب السّلطنة على عدن سنة ٦٢٦ هِجريّة ويقال لها الزّنجيلية وهي من أحسن المَدَارِس الدّمشقيّة قاطبةً وعُملت لتكون للعُلَمَاء الحنفيّة.

قال القاضي عز الدّين: المَدرَسَة الزّنجارية، خارج باب توما وباب السّلامة، ويقال لها الزّنجيلي بالسّبعة تجاه دار الأطعمة، وبها تربة جامع، وهي من أحسن المَدَارِس في سنة ست وعشرين وستمائة أنشأها الأمير عز الدّين أبو عمرو عثمان بن عَليٍّ الزّنجيلي، وكان صاحب اليمن، وانتقل إلى الشّام في زمن الملك العادل سيف الدّين أبي بكر.

وردَ ذكرُها أثناءَ ذكر بانيها في تاريخ ابن كثير ضمن أحداث سنة سبع وسبعين وخمسمائة بالقول: وأما نائب عدن فخر الدّين عثمان بن الزّنجيلي؛ فإنه خرج من اليمن فسكن الشّام، وله أوقاف مشهورة باليمن ومكّة، وإليه تُنسب المَدرَسَة الزّنجيلية خارج باب توما تجاه دار الطّعم، زالت هذه المَدرَسَة جرّاء الإهمال وضعف الرّقابة على الأبنية الأثرية التّاريخية.

وقال أبو شامة في الرّوضتين: ولهذا الأمير أوقافٌ وصدقات بمكة واليمن ودمشق، وإليه تُنسب المَدرَسَة والرباط المتقابلان بباب العمرة بمكة المشرفة، والمَدرَسَة التي خارج باب توما بدمشق، ولقد زالت هذه المَدرَسَة اليوم نتيجة الإهمال وضعف الرّقابة على الأبنية الأثرية التّاريخية [٢٠].

(٢٠) الدارس في تاريخ المدَارس، النعيمي، الجزء الأول، ص٤٠٤

المَدرَسَة المُهَاجِرية الأولَى (الموصل)

هي المَدرَسَة الفِقهِيّة الخَاصَّة بالفقهاء الشّافِعيّة التي أنشأها في منتصف القرن السّادس الهِجريّ الفَقيه المُحَدِّث الشّيخ الفاضل علوان بن مُهَاجِر بن عَليٍّ بن مُهَاجِر التّكريتيّ الأصل المَوصليّ المنزل المُتَوَفَّى في سنة ٥٨٥ هِجريّة وتذكر المَصَادر التي وثقت خبرها إنّ الشّيخ علوان ابن مُهَاجِر التّكريتيّ وقف عليها وقوفًا متوفرة الحاصل وكانت من المَدَارِس الفاخرة الهيئة، المعلقة البنيان لأنّها كانت مشيدة فوق دار الحديث المُهَاجِرية التي بناها الشيخ علوان كما يذكر ابن أبي اصيبعة[٢١].

المَدرَسَة المُهَاجِرية الثّانية (الموصل)

هي المَدرَسَة الفِقهِيّة التي قامت في سكة بني نجيح في الموصل وقد أنشأها لنفسه ورعاها وأدارها بنفسه الفَقيه المُحَدِّث الشّيخ أبو المظفر شرف الدّين مُحَمَّد بن علوان بن مُهَاجِر التّكريتيّ المُتَوَفَّى سنة٦١٥ هِجريّة بعد إكمال تفقهه بالنظاميّة في بغداد، وبعد حصوله على معرفة المَذهَب والخلاف، وبعد تولّيه التّدريس في مَدرَسَة أبيه وفي المَدرَسَة البدريّة في المَوصل وقد أوقفَ عليها الوقوف والكتب النّفيسة، وتولى التّدريس في هذه المَدرَسَة ولدا الشّيخ أبي المظفر عماد الدّين أحمَد ومحيي الدّين عبد الكريم. بعد إكمالهما دراسة الفقه ومعرفة المَذهَب في نظاميّة بغداد[٢٢].

(٢١) موسوعة حَضَارَة العراق، التّعليم في العراق، بشار عواد، جزء٨،ص١٣٠

(٢٢) تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، ابن ال ٤، ي، الجزء ٤،ص٨٣

رباط قاسيون (دمشق)

هو رباط العلم الذي أنشأه الصّدر وجيه الدّين مُحَمَّد بن عَليٍّ بن أبي طالب بن سويد التّكريتيّ المُتَوَفَّى في سنة ٦٧٠ هِجريّة بالقرب من الرّباط النّاصريّ بقاسيونِ دمشقَ، ولقد اشتُهر هذا الرّباط في كتب التّاريخ باسم الرّباط التّكريتيّ، وكان يجري فيه رواية الحديث ودراسته وإقراء القرآن وتفسيره، ذكره ابن كثير في كتاب البداية والنّهاية وهو اليوم لا أثر له[٢٣].

المَدرَسَة الأسديّة (دمشق)

هي المَدرَسَة التي أنشأها في دمشقَ الأمير أسد الدّين شيركوه بن شادي التّكريتيّ عم النّاصر صلاح الدّين الأيُّوبيّ وأوقفَ عليها الوقوف التي تحتاجها وأسماها باسمه. ولقد جاء بناؤها بالشرف القِبليّ في ظاهر دمشقَ، في العَرَصة المُطلة على الميدان الأخضر، وكانت تقع في مكان القصر الأبلقِ الذي شيدَه السّلطان المملوكي الظّاهر بيبرس، ثم حَوَّله السّلطانُ العثمانيُّ سليمان القانوني إلى التّكية السّليمانية فيما بعد. وهي تختصّ الطّائفتين الشّافِعيّة والحنفية.

قال أبو شامة: وقال القاضي عز الدّين بن شداد في كتابه الأعلاق الخطيرة: المَدرَسَة الأسدية وقفت على الفريقين أي الشّافِعيّة والحنفية، أنشأها الأمير أسد الدّين شيركوه الكبير بن شادي التّكريتيّ في عام ٥٦٠هِجريّ[٢٤].

(٢٣) الدارس في تاريخ المَدارس، النعيمي، ص١٧٨
(٢٤) الدارس في تاريخ المَدارس، ص٥٦

مَدرَسَة الغرباء بثغر الإسكَندَريّة

أنشأ السّلطان النّاصر صلاح الدّين الأيُّوبيّ في مدينة الإسكَندَريّة مَدرَسَة جامعة يدرس فيها الطّلبة الغرباء شتّى العلوم والفنون والمعارف والحق بها مسكن للطلبة وحمام ومارستان أشار إليها المَقريزيّ في كتابه الخطط كما ذكر خبرها وحالها الرّحالة ابن جبير في رحلته[٢٥].

المَدرَسَة النّاصرية الثّانية (القاهرة)

هي مَدرَسَة قامت في القاهرة أنشأها صلاح الدّين الأيُّوبيّ في عام ٥٧٢ هِجريّ، على المَذهَب الشّافِعيّ وأراد في إقامتها إحياء ذكرى الإمام الشّافِعيّ وبعث مَذهَبه من مكان يكون قريبًا من مرقده الشّريف فأمر بإنشائِها ونهض بعمرانها وأتمّه بصورة كأن لم يعمر مثلها في البلاد، لا أوسع مساحةً ولا أحفلَ بناءً، فكانت من أعظم مدارس مصر، وهي أشبه بمدينة جامعيّة ولقد أسبغ عليها السّلطان صلاح الدّين جلّ رعايته ووقف عليها حمامًا بجوارِها وفرنًا تجاهها وحوانيتَ بظاهرها ثم لعلَّها كانت أعظم مَدرَسَة في العالم الإسلَامِيّ كله لذلك وصفها السّيوطي بقوله عنها: (إنها تاج المدارس)[٢٦].

المَدرَسَة الصّلاحية (دمشق)

من مدارِس دمشقَ قامتْ على دراسةِ الفقه الشّافِعيّ. قال القاضي عزّ الدّين رحمه الله

(٢٥) تاريخ مدينة الإسكَندَريّة في العصر الإسلَامِيّ، جمال الدين الشّيال، ص٦٧
(٢٦) المَدارس الإسلَامِيّة، أيمن شاهين، ص٨٨

تعالى: مَدرَسَة أنشأها الملكُ النّاصر صلاح الدّين يوسف بن أيوب فاتح بيت المقدس رحمه الله تعالى، وهي بالقرب من البيمارستان النّوري، ووجدتُ بخطّ الشّيخ تقي الدّين بن قاضي شهبه في تسمية مدارِس المالكيّة تسمية هذه المَدرَسَة بالنوريَّة وتسمية المَدرَسَة الزّاوية المارّة بالحلقة....[٢٧] وهي لا أثرَ لها اليوم.

المَدرَسَة الصّلاحية (القدس)

وهي من مدارس القدس، أنشأها السّلطان صلاح الدّين. تقع خارج الحرم في موقع يُسَمَّى صندحنه، أنشئت (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) إثر التّحرير الصّلاحي للقدس، وكانت أول مَدرَسَة في بيت المقدس في العهد الأيُّوبيّ، وأصبحت أشهر المَدَارِس الإسلَامِيّة في القدس، بعد أن استقدم لها صلاح الدّين خيرة العُلَمَاء والمُدَرِّسين من بلدان مختلفة، ووقف الأوقاف الكثيرة للإنفاق عليها، جرت عليها إصلاحات عدة طوال القرون السّتة اللاحقة لإنشائها، قام بالتدريس فيها العديد من كبار العُلَمَاء والقضاة والدعاة، مثل: الكنانيّ، والقلقشنديّ، والكركيّ، والخزرجيّ، والسّعديّ، والدّيري، وغيرهم، وكانت منارة إشعاع في العهدين المملوكي والعثماني، آل بعضُها إلى الخراب إثر زلزال (١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م)، أعطاها العثمانيون للفرنسيين (١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م) لوقوفهم إلى جانبهم في حرب القرم، فجعلوها كنيسة، ثم استرجعَها الأتراك (عام ١٩١٥م) وحوَّلها جمال باشا إلى كلية عِلمِيّة دينية عرفت باسم كلية صلاح الدّين، وصارت بمنزلة جامعة عَرَبيّة وإسلَامِيّة، وقد استقطبت أساتذة من فلسطين ودمشق وآخرين من إيران والهند، ثمَّ بعد الاحتلال البريطاني، أعادَها الإنكليز إلى "الآباء البيض" وأقام هؤلاء فيها مَدرَسَة وكنيسة[٢٨].

مَدرَسَة المشهد الحُسَيني (القاهرة)

هي مَدرَسَة فِقهِيّة أنشأها السّلطان صلاح الدّين الأيُّوبيّ عند المشهد الحُسَيني في القاهرة القديمة لما ملكَ الدّيار المصريّة وجعل بها تدريسًا وأسبغ عليها من الرّعاية وأوقف لها وقفًا.

يذكر المَقريزيّ أنّ صلاح الدّين الأيُّوبيّ جعل المشهد الحُسَيني أولا حلقة تدريس ثم بنى به إيوانًا وجعل فيه فقهاءَ يعني أقام فيه مَدرَسَة، ومِمّا يؤكّد ذلك أنّ أبا المحاسن روى أنَّ صلاح الدّين (بنى مَدرَسَة مجاورة للمشهدِ المَنسوبِ للحُسين رضيَ اللهُ عنه) ويذكرُ ابن خلكان أنَّهَا من جملة المَدَارِس التي أنشأها السّلطان صلاح الدّين الأيُّوبيّ[٢٩].

مَدرَسَة التّربة التّكريتيّة (دمشق)

تقع "التربة الحمراء أو المَدرَسَة تابوتلوك" أو ما يُسَمَّى بالمَدرَسَة والتّربة التّكريتيّة حالياً في حي المَدَارِس الأثري في منطقة الصّالحيّة

(٢٧) الدارس في تاريخ المَدارس النعيمي، ص١٣٩

(٢٨) المَدَارس القديمة في القدس، إبراهيم عبد الكريم، مؤسسة القدس للثقافة والتّراث، بلا

(٢٩) مساجد القاهرة ومَدَارسها، الدكتور احمد فكري، جزء ٢، ص٥٤،

القديمة على امتداد "جامع الشّيخ مُحيي الدين" ويقابلها "دار الحديث الأشرفيّة والبيمارستان القيمري"، وقد بناها الأمير "تقي الدّين التّكريتيّ" سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م، وتعدُّ من أهمّ المَدَارِس التي بنيت في العهد المملوكي سواء من حيث الهدف الذي بني من أجله وهو تعليم أصول الدّين الإسلَامِيّ أو من حيث الهندسة المِعمَاريّة الفريدة التي تتميز بها هذا الصّرح المِعمَاريّ الفريد، فهذه "المَدرَسَة" مشهورة بزخارفها الجصّية الرّائعة التي تزين معظم جدرانها كما أن من عناصرها البنائية الهامة أيضاً الواجهة الحجرية المزخرفة المطلة على الشّارع الرّئيس للحيّ حيث ثمة كثيرٌ من الأبنية التّاريخية الهامة، والبوابة ذات المقرنصات العالية على غرار المَدرَسَة "العادليّة والجقمقيّة" التي تعبّر عن روح وعظمة العِمَارَة المملوكية الإسلَامِيّة، وبابُها مثل بابِ غيرها من مدارس الأمراء مزخرف أعلاهُ بالحجر المعجن قائم على صفة محراب، وباب الدّخول في الوسط، والدهليز المَعقود والتّربة تضم قبر الوزير "توبة بن عَليٍّ بن مُهَاجِر بن شجاع بن توبة الرّبعي التّكريتيّ" الملقب بـ "تقي الدّين التّكريتيّ" الذي نسبت إليه المَدرَسَة أو التّربة التّكريتيّة، وقد توفي سنة ٦٩٨-١٢٩٨م، وكان لهذه المَدرَسَة كما لبقية المَدَارِس في العهد المملوكي دورٌ ثقافي وتعبوي هام في فترة الحروب الصّليبية، واهتمّ بها صلاح الدّين الأيُّوبيّ كثيرا وسعى لنشرها حتى عند وجوده في مصر ومعظم من تَخرَّجَ فيها شارك في معركة حطين.

وحالياً تتكون المَدرَسَة أو التّربة من قسمين، والبناء إجمالاً من الحجر مساحته تقارب ١٦٦م[٢]، وقد رمّمته مؤخراً محافظة دمشق ضمن خطة إعادة التّرميم وتأهيل الأبنية التّاريخية في المحافظة[٣٠].

الخانقاه النّجمية

قال ابن شداد: أنشأها نجم الدّين أيوب والد صلاح الدّين يوسف، تُعرف بالشيخ صدر الدّين البكري بدرب قطمطة. قال أبو شامة رحمه الله تعالى في سفر نجم الدّين أيوب إلى عندِ ولدِه صلاح الدّين يوسف بمصر، قلت: ووقف رباطاً داخل الدّرب الذي بقرب العوينية بباب البريد[٣١]. وهي لا أثر لها اليومَ في القاهرة المحمية.

دَار الحَدِيث القلانسيّة (دمشق)

هِيَ مَدرَسَة بصالحية دمشق قَالَ عنها النّعيمي إنَّ بهَا رِبَاطًا ومئذنة وتعرف الآن بالخانقاه غربي مَدرَسَة أبي عمر. وقَالَ عنها العلموي: إنّ نهر يزِيد جَارٍ فِي وَسطهَا وَيُنزَل إِلَيْهَا من درج. وقال صاحبُ كتاب منادمةِ الأطلال إنَّه فتش عَنْهَا وَذَهَبَ إِلَى الصّالحية فدُلّ على مَكَانهَا فَرَأَى جِيرَانهَا قد اختلسوا أَكْثَرهَا وَبَقِي مِنْهَا بَقِيَّة من جِهَة نهر يزِيد، وَتلك الْبَقِيَّة كَانَت سَابِقًا خَربةً تُرمى بهَا الزّبالة. ثم أردف قائلا: فَهَيَّأَ الله لَهَا الشّيْخ إِسْمَاعِيل بن عَليٍّ التّكريتيّ الصّالِحِي فعمّر خربتها وَجعل لَهَا مَسجِدًا لطيفًا وَعمّر الدّرج

(٣٠) الدارس في تاريخ المدَارس، النعيمي، الجزء الثّاني، ص١٨٥/

(٣١) الدارس في تاريخ المدَارس، النعيمي، ص١٦٦

الـذي يُنزَل مِنْهُ إِلَيْهَـا ثمَّ إِلَى نهر يزيـد بِالْحجرِ فَكَانَ النّهر تَحت مَسـجِدهَا يَنـزِلُ إِلَيْهِ المُصلّون من طرف الْمَسـجِد من الشّـرق فيتوضؤون مِنْهُ، وَجعـل لَهَا صحنـا لطيفا وبجانبـه مطبخ وَعمَّر بالعلو من الْجَانِب الغربيّ والشماليّ ثَمَانِي غرفٍ وأعدّها لسُـكنى الْفُقَرَاء الذّين لَا مأوى لَهُم وجدَّد بَابهَا وَكتبَ فَوق اسكُفَّتِه:

مَـــدرَسَـــة ذِي عـمـرت
مـــن بـعـد مَـــا قـــد دثـــرت
انْـعـــمْ بِـإِسْـمَـاعِـيـل من
شـــيـــدهـــا فـــظـــهـــرت

وأما عن ترجمةِ مُجدّدها فيقول صاحب كتاب مُنادمـة الأطلالِ إنَّهُ طلب من السّـيِّد مُحَمَّد أَمِين التّكريتـيّ الصّالِحِيّ تَرْجَمَـة مُجَدّدها فَكتب إِليه مَا صورته: (هُوَ السّـيِّد إِسْـمَاعِيل ابْن السّيِّد عَليّ ابْن السّـيِّد إِسْمَاعِيل من بني التّكريتيّ وهم عائلة كَبِيـرَة فِي صالحية دمشـق وأصلهم مـن مَدِينَة تكريتَ وَهِي على شاطِئ دجلةَ قريبَةٌ من الْموصل وَأَقَامُوا بِدِمَشْقَ من مُدَّة تزيد على السّبعمائة سنة وَكَانَ مـن هَذِه العائلة فضلاء وأعيانُ وإن السّـيد إسماعيل في سنة سِتّ وَخمسـين وَمِائَتَيْنِ وَألف تُوفِّي وَالِده وَهُوَ ابْن سـبعِ سِنِينَ فربّي فِي حجر والدته إِلَى أَن شـبّ فاشـتغل بِالتِّجَارَة وَنَشَأ على عفّةٍ وَصَلَاح ومَحبة للْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِين وَكَانَ كثيرَ الْأَصْحَـابِ يكثر من الِاجْتِمَاع بالعُلَمَاء وَيُحب الْبرَّ والخيرات وَمِمَّا جعله ذخْرا فِي الْآخِرَة أنّه لما رأى دَار الحَدِيث القلانسـيّة الْمُسَـمَّاة بالخانقاه التي هِيَ بالصالحية قد تهدمت واندرستْ مُنْذُ ثَلَاثمِائَة سنة وتناولتْ أَيدي المختلسين أَكْثَرهَا عَمّر مَا بَقِي مِنْهَـا من مَاله ابْتِغَاءً لوجه الله تَعَالَى وعمّرها فِي محرم سـنة خمس عشرَة وثلاثمائة وَألف وانْتهى من تعميرها فِي ربيع الأول سنة سِتّ عشرَة وَكَانَ يصرفُ على مَا يلْزمهَا مـن مصابيح وَأُجْرَة أَذَان وَغير ذَلِـك من مَاله وَلما توفّي قَامَ بالإنفاق عَلَيْهَا حاذيـا حَـذْو وَالِده النّجيب السّـيِّد مُحَمَّـد وَهَذِه الْمَدرَسَة الْآن تسـمى بِجَامِع التّكريتيّ، هذا وزارَ المُترجَـم له بَيت الْمُقَدّس وَحجّ ثَلَاثَ حجّات وَلما حـجّ الرّابِعَة وَتوجّه إِلَى بَلَـده توفّي بجبلِ الطّور سنة إِحْدَى وَعشْرين وثلاثمائة وَألف)[٣٢].

قُبَّة بيبرس للمُحدّثين (القاهرة)

هـي مـكانٌ مُخصّـص للتّدريس والمُدارسـة أنشأه السّلطان بيبرس الجاشنكير، المُتَوَفَّى سنة ٧٠٩ هِجريّـة ووقفه لدراسـة الحديث الشّـريف وعلومـه، ولقد تولى أمره العِلمِيّ الشّـيخ الصّالح فخـر الدّين أبو جعفر مُحَمَّـد بن عبد اللطيف بن أحمَد بن مَحمُـود التّكريتيّ الذي كانت وفاتُه في رمضان من سـنة ٧٦٩ه. وتقعُ هـذه القبّة اليوم في شارع الجمّالية بمدينة القاهرة المحمية[٣٣].

مَدرَسَة الزّبداني (دمشق)

هي المَدرَسَـة الفِقهِيّة التي جعلت للشـافعية وتولى التّدريس فيها القاضي الشّيخ عبد الرّحمن التّكريتيّ أمير الكرك فلما أخذت أوقافها سار إلى القدس ثم إلى دمشق فكان ينوب بها عن القضاة ولقد توفّيَ فيها عام ٦٣٤ هِجريّ[٣٤].

---

(٣٢) كتاب منادمة الاطلال ومسامرة الخيال، الجزء الأول، الصفحة ٥٢

(٣٣) الدر الكامنة، الجزء الرابع، ص ١٦

(٣٤) البدايـة والنهايـة، ابـن كثـير /طبعة بيـت الأفكار

المَدرَسَة البدرية (الموصل)

هــي المَدرَسَــة التــي أقامهــا فــي الموصــل الأميــر بــدر الدّين لؤلــؤ (ت ٦٥٧هــ) قبل ســنة ٦١٥هِجريّة على أنقاض مَســجِد بقلعة الموصل، وتعدُّ من العمائر النّفيسة التي وصلت إلينا، وكان لأحــدِ أبناء تكريــت نصيبٌ في التّدريــس فيها إذ ورد عن المُحَدِّث مُحَمَّد بن علوان التّكريتيّ أنَّه قد درّس فيها[٣٥].

المَدرَسَة الفخرية (الموصل)

مَدرَســة فِقهيّة كانت قائمة في الموصل على دجلة. ورد عن الشّيخ الفَقيه أبو المجد يحيى بن ســعيد التّكريتيّ، قاضي ماردِيــن، أنّهُ كان مُعيدا بهذه المَدرَســة[٣٦] التي اعتقد أنّها للشَّيخ الفَقيه مُحَمَّد بن علوان بن مُهَاجِر أو أنَّهَا لأبيه.

مَدرَسَة الهماميّة

هــي مَدرَســة فِقهيّة كبيرة قامــت في تكريتَ في نهايات القرن السّــادسِ الهِجريّ وجاءَ اسمُها يحمــلُ لقب مُنشِــئِها الأميــر هُمام الدّيــن تبر أو طبــر بن عَلــيٍّ التّكريتيّ حاكم تكريــت، المُتَوَفَّى في ســنة ٥٧٨ هِجريّة، إذ يتبين من سياق الكلام عنهــا أنّه قد أقام هذه المَدرَســة فــي تكريت قبل سنة ٥٧٦ هِجريّة ثم رعاها ووقف عليها الوقوف ثم اســتمرت بعد وفاته إذ تولاهــا بعده ابن أخيه وخليفتــه في حكم قلعة تكريت الأمير فخر الدّين أبو المكارم عيســى بن مودود بن عَليٍّ بن شعيب التّكريتــيّ الذي كان مَحمُود السّــيرة والذكر بين أبنــاء تكريت ولما مات في عام ٥٨٤ هِجريّ دُفن فــي هذه المَدرَســة (جــاء ذلك في كتــاب مَجمَع الآداب في معجم الألقاب – ابن الفوطي)[٣٧].

وأرجــحُ أنَّ موقعهــا الأثــري اليــوم هــو ذاته موقــع (تل محيســن الأثري) الذي يحــاذي بناية فضائيــة صــلاح الدّيــن القديمــة أو بــرج دائرة الاتصالات من الجنوب الشّرقي، وهو ذاته الموقع الأثري الذي أكــدت عملية التّحري الأثرية[٣٨] التي أجراها الاســتاذ الدّكتور جابر خليل التّكريتيّ في سبعينيّات القرن الماضي: على أنّه يضم طبقتين بنائيتين، العليا منها تعود للعهد الأتابكيّ أي إلى أواخر القرن السّادس الهِجريّ وهي في خططها وشكلها تدلّ بما لا يقبلُ الشّكَّ على كونها مَدرَسَة وليس غير ذلك.

وبهــذا يكــون اعتقــادي فــي أن الموقع هو: المَدرَســة الهماميــة فــي محلــه لأن تاريــخ بناء المَدرَســة الهمامية أيضا يعــود للحقبة الاتابكية المذكــورة، فضلا عــن أنّ مــا تبقى مــن الطّراز والهيئة لبعــض أجزائها يدلّ كذلك على ما ذهبت إليه.

دار الحديث الفتوحية

هــي دار عملت فــي تكريت لدراســة الحديث

الدولية، المجلد الثّاني، ص٢٠١٩،

(٣٥) التّربية والتّعليم، حَضَارَة العراق، دكتور بشار عواد، جزء ٨، ص١٣٧

(٣٦) قاضيــان مــن تكريت، د، مُحَمَّد قاســم، موســوعة تكريت، جزء ٣، ص١٦٧

(٣٧) مجمــع الآداب في معجــم الألقاب، كمــال الدين ابن الفوطي، ت ٧٢٣هجري،مجلد الثّالث، ص١٠٣،

(٣٨) خليل، جابر، تنقيبات الموســم الأول في تل محيســن، مجلة سومر الاثارية، المجلد ٣٦، بغداد ١٩٨٠

النّبَويّ الشّريف، استحدثها، في الرّبع الأول من القرن السّابع الهِجريّ، المُحَدِّث الفَقيه القاضي الشّيخ أبو الفتوح يحيى بن الشّيخ الفَقيه أبي السّعادات سعد الله بن أبي عبدالله الحُسَين بن أبي غالب مُحَمَّد بن أبي تمام يحيى بن السّريّ التّكريتيّ، الذي ولد ببلدة تكريت في عام٥٣١ هِجريّ، ثم لما شب سمع الحديث من والده ومن جماعة منهم المُحَدِّث يوسف بن القاسم وسمع الحديثَ ببغدادَ من جماعةٍ آخرين منهم أبو المظفر هبة الله ابن أحمَد الشّبلي وأبو مُحَمَّد عبدالقادر بن صالح الجيلي وأبو النّجيب عبد القاهر السّهروردي وأبو بكر أحمَد بن المقرب وأبو الفتح مُحَمَّد بن عبد الباقي وأبو الحسن علي بن الخباز وعلي بن الطّوسي. ثم حدث وأسمع بتكريت ودرس فيها وخرج لنفسه أحاديث ولقد كانت وفاته فيها بعام ٦١٨هِجريّ[٣٩].

أما الخبر عن هذه الدّار التَعليمِيّة فجاء ضمن الكلام على سيرة حياة الشّيخ أبي الفتوح وكان نص هذا الخبر: (ثم عمل بتكريت دارا للحديث وكان يُحدّث بها)[٤٠].

وأما الموقع الأثري لهذه الدّار اليوم فلم يجرِ تعيينه بدقة ضمن خارطة مدينة تكريت، لكنّني أرجّح أنّ موقعه في التّلّ المجاور لتلّ محيسن الأثري[٤١] والذي يقوم عليه قبر يُسَمَّيه الأهالي (قبر منصور) الذي أظنه والله أعلم: قبر الشّيخ أبي الفتوح التّكريتيّ مُؤَسّس هذه الدّار.

(٣٩) الزكي المنذري، التّكملة لوفيات النقلة، المجلد الثّالث، ص٣٤

(٤٠) الزكي المنذري، التّكملة لوفيات النقلة مج ٣، ص٣٤

(٤١) دليل خارطة تكريت الأثرية، إبراهيم الناصري،

رباط ابن الفقير

رباط علم شريعي ذو بصمة تصوفيّة، جاء ذكره في ترجمة الفَقيه المُحَدِّث الصّالح، أبي شاكر مُحَمَّد بن سعد بن خلف التّكريتيّ الملقب بالفَقيه، الذي تَفقّه في بغدادَ وسمع المصنفات. وسمعَ منه مُحَمَّد بن أبي الضيف اليمنيّ وغيره، وقد توفّيَ في صفر من عام٥٢٧ هِجريّ بعد أن عمّر خمسًا وتسعين سنة، إذ جاء النّص يقول: إنّ أبا شاكر الفقير التّكريتيّ قد سمع وحدَّث بالكثير وبنى رباطًا للصوفيّة في بلدة تكريت ووقف عليه الوقوف الوفيرة[٤٢].

ولقد تحريت كثيرا عن موضع هذا الرّباط في خارطة تكريت الأثرية فتوصلت إلى أنّ موقعه في التّل الذي كان ينتصبُ بالركن الشّمالي لِعِمَارَة الأربعين الذي أمسى بتقادم الحقب مقبرةً للسكّان باتت تحاذي عِمَارَة الأربعين وهي اليومَ لا وجودَ لها إذْ يقوم بمكانها مجمّع طبي.

مَدرَسَة المشهد

هي المَدرَسَة التي كانت[٤٣] عمارتها تشمخ في قلب تكريت الحديثة ويسمّيها السّكان (بمزار الأربعين ولي) التي أظهرت تنقيبات الآثار في مشتملاتها القديمة وفي ريازتها وشكلها المِعمَاريّين قبل آخر تعمير لها أنَّهَا عبارة عن هيكل مَدرَسَة يرجع زمنه لنهايات القرن الخامس الهِجريّ، وقد بُنيت عند مَشهد أي مزار أو قبر لرجلٍ مبارك أو صالح من الرّعيل الأول للإسلام.

(٤٢) ذيل تاريخ بغداد، ابن الدبيثي، المجلد الاول، ص٣٣٨

(٤٣) تعرضت اليوم للدمار والهدم

ولعلّها في شكلها الرّيازي ومخطّطها البنائيّ الذي قامت عليه تشبهُ بالتّمام المَدرَسَة النّوريّة الكبرى في دمشقَ كما تشبه أيضا المَدرَسَة الظّاهرية في حلب وكأنّها طبقُ الأصل عنهما[٤٤].

ولقد جاء بناؤها في تكريت قبل المَدرَسَة الهمامية بنحو خمسين سنة على ما تؤكده الدّلائل الأثرية والأخبار التّاريخية. ولقد ارتأيت أن أطلق عليها تسمية مَدرَسَة المشهد لأنّها تضم مشهدًا جاء ذكره في كتب التّاريخ فضلًا على كونها تضم تربة طاهرة، وعن قيام مدارس عند المشاهد أو القبور، ورد في ترجمة الملك أبي سعد الخوارزميّ مستوفي السّلطان ألب أرسلان أنّه بنى بجانب مشهد ومرقد أبي حنيفةَ النّعمان مَدرَسَة في عام ٤٥٩ هِجريّ وورد في أخبارِ مصرَ الأيُّوبيّة أنّ المَدَارِس التي أنشأها صلاح الدّين الأيُّوبيّ في مصرَ والقاهرة كلها كانت مُجاورة لأماكنِ العبادة والتّبرك القديمة مثل جامع عمرو وضريح الشّافِعيّ والمشهد الحُسَيني ممّا يوحي بأن المنشئ قد أراد بذلك ربط المَدرَسَة، المبتكرِ الحَضَاريِّ الجديد، بأماكن التّبرك القديمة التي لها الاحترام في نفوس النّاس المُجاورين لها، فضلًا عن إكسابها الشّهرة جراءَ الارتباط باسم المكان الطّاهر. أما عن بناء المَدَارِس خارج حدود المدن أو في ظاهرها كما هو عليه بناء مَدرَسَة المشهد أو كما تسمى الأربعين، فقد ورد مثل ذلك إذ جاء في ترجمة حياة مُجاهد الدّين قايماز الزّينيّ أنّه بنى جامعًا بظاهر المَوصل وبنَى إلى جانبِه مَدرَسَة للشّافعيّة ورباطًا للصّوفيّة ومارستانًا للمرضى وغير ذلك، كما إن المطالع لرحلة ابن بطوطة سيجد كثيرًا من المَدَارِس المُقامة خارج المدن، وأما عن الدّفن في المَدَارِس أو عن مجاورة المَدَارِس للمدافن، فإنّه أمرٌ طبيعي إذا ما قارنّا ذلك ببعضِ المَدَارِس التي ضمّت مدافنَ، فقد جاء في مُنتخب السّياق مثلا أن أبا جعفر الشّاماتي عندما مات دفن في مَدرَسَة أحمَد الثّعالبي ودفن علي بن الحسن الصّندلي في مدرستِه كما دفن ابن صاعد في مدرسته، كذلك دفن عبدالواحد القشيريّ في مدرستِه. وبهذا نكونُ قد تأكدنا من أن مزار الأربعين بما يضمُّ من تُربٍ ومشهد إن هو إلا مَدرَسَة قامت عند تلك التّربة والمشهد المباركين.

المَدرَسَة النّظامية

يذكر السّبكي في طبقات الشّافِعيّة الكبرى انه كان للوزير نظام المُلك السّلجوقيّ في كُلِّ مدينة بالعِرَاق وخراسان مَدرَسَة[٤٥] عليه فمن الوارد الذي لا يقبل التّكذيب أو الشّك كما يقول الدّكتور ناجي معروف أنّه كانت له مَدرَسَة في مدينة تكريت[٤٦]، غير أن أخبارها قد ضاعت أو قد عميت علينا، وإنّ الذي يعزّز ذلك هو أنّ تكريت في وقت وزارة الوزير نظام الملك كان يتولاها ابنُه الأمير مؤيّد المُلك ولعلّها ذاتُها المَدرَسَة التي حاضَر فيها الشّيخ تاج الدّين يحيى بن القاسم بعد تركه التدريسَ في نظاميّة بغدادَ وعودته

(٤٤) العمارة العَرَبيّة الإسلَامِيّة –نشوء المَدارس، الدكتور كامل حيدر، ص٣٥

(٤٥) موسوعة حَضَارَة العراق- المؤسسات التّعليمية/ الدكتور بشار عواد معروف، ص٥٨

(٤٦) علماء النظاميات ومَدَارس المشرق الإسلَامِيّ، ناجي معروف، المقدمة

لبلـدِه تكريت وقيامه بالتدريس فيـه إذ يردُ ذلك فـي ترجمتـه[٤٧]. وأرى أنّ موقع هذه المَدرَسَـة هو ذاته جامع الوسـط المُسمى بجامع دولة وهو اليوم ركام.

مَدرَسَة الإقراء

عندما نتحدث عن مَدرَسَـة للإقراء في تكريت فإنمـا نريد الإشـارة إلى النّشـاط العِلمِيّ بتعليم وتعلم قراءة القرآنِ الكريم في تكريت استنادًا إلى أنّها كانـت من المراكز المهمة لإقـراء القرآن في العالم الإسـلَامِيّ[٤٨]، ولأنني موقن بقيام مدارس للإقـراء في تكريـت في العصر الـذي نتكلم عنه إذ علـى الرّغم من عدم عثورنـا على نص صريح بذلـك، غيـر أنني استشـف من أخبـار المقرئين وشـيوخ الإقراء أمر قيامها في تكريت، فلقد أورد ابن الجزريّ في ترجمة المُقرئ أبي الحسـن علي بن الحُسَـين التّكريتيّ انه قد أخذ عنه في تكريت القراءات عرضا الحَسَن بن مُحَمَّد البغداديّ ونصر بن عبد العزيز الشّيرازي مما يعني انه كانت لديه دار يعلم فيها قراءة القرآن، ولقد أورد الذّهبيّ في ترجمـة حياة المقرئ الفرج بـن مُحَمَّد التّكريتيّ أنّه قد قرأ عليه بتكريت الحَسَن بن مُحَمَّد صاحب كتـاب الرّوضـة مما يـدلّ أيضا على وجـودِ ذلك المحلّ للإقراء في تكريت[٤٩].

المَدرَسَة المفرجيّة

هذه المَدرَسَـة مفترضة من قبلـي وأعني بها إحـدى زوايا الجامـع الطّلحيّ الـذي أورد خبره صاحب قلائـد الجُمان في كونِـه بتكريتَ وكونِه المَحلّ الذي باتَ يُلقي فيه الشّيخ عمر بن عبدِ الله بن المُفرج التّكريتيّ دروسـه في الفقه والحديثِ علـى مَن كان يَطلبُ العلمَ علـى يَديه أو من يَزورُ تكريتَ من عُلَمَاء.

•

(٤٧) طبقات الشّافعية، الاسنوي، المجلد الاول، ص١٥١
(٤٨) موسوعة مدينة تكريت، ملامح من مدرسة الإقراء في تكريت- الدكتور غانم قدوري، ج٣، ص٥٢
(٤٩) موسوعة مدينة تكريت، ملامح من مدرسة الإقراء في تكريت- الدكتور غانم قدوري، ج٣، ص٥٢

المصادر والمراجع:

- تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي، د. جمال الدين الشيال، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٧م.
- مدارس دمشق في العصر الأيوبي، د. حسن شميساني، بيروت، دار الآفاق، ١٩٨٣م.
- مساجد القاهرة ومدارسها، د. أحمد فكري، الجزء الثاني، العصر الأيوبي، القاهرة، دار المعارف، ٢٠٠٨م.
- العمارة العربية الإسلامية – نشوء المدارس، د. كامل حيدر، بيروت، دار الفكر اللبناني، ١٩٩٥م.
- التربية والتعليم في الإسلام، سعيد الديوه جي، مطابع جامعة الموصل،١٩٨٢م.
- المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي، رسالة دكتوراه غير منشورة، الباحث أيمن شاهين سلام، جامعة طنطا، ١٩٩٩م.
- المدخل في تاريخ الحضارة العربية، ناجي معروف، بغداد، مطبعة العاني، ١٩٦٠م.
- الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، ابن الساعي البغدادي (ت٦٧٤هـ)، تحقيق مصطفى جواد، بغداد، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٣٤م.
- التكملة لوفيات النقل لزكي الدين المنذري، أربع مجلدات، تحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- نشأة المدارس المستقلة في الإسلام، ناجي معروف، بغداد، مطبعة الأزهر، ١٩٦٦م.
- كتاب الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، منسوب لابن القوطي (ت٧٢٣هـ)، تحقيق د. بشار عواد ود. عماد عبد السلام رؤوف، دار الغرب، بيروت، ١٩٩٧م.
- مجمع الآداب في معجم الألقاب، ابن القوطي (ت٧٢٣هـ)، تحقيق محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر، طهران، ١٤١٦هـ.
- كتاب طبقات الشافعية، الإمام عبد الرحيم الأسنوي (ت٧٧٢هـ)، تحقيق كمال الحوت، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م.
- البداية والنهاية، الحافظ إسماعيل ابن كثير (ت٧٧٤هـ)، تحقيق حنان عبد المنان، بيروت، مطبعة بيت الأفكار الدولية، ٢٠٠٤م.
- مدارس مكة المشرفة، ناجي معروف، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٦٦م.
- الدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر النعيمي، بغداد، إعداد وفهرسة إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.
- علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي، ناجي معروف، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٧٣م.
- دور حديث قبل دار الحديث النورية، ناجي معروف، مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد ٢٧، ١٩٧٦م.
- تاريخ علماء المستنصرية، ناجي معروف، بغداد، مطبعة العاني، ١٩٥٩م.
- تكريت ودورها في التراث العلمي العربي، مجموعة مؤلفين، مركز إحياء التراث العلمي العربي، بغداد، ١٩٩١م.
- ذيل تاريخ بغداد مدينة السلام، محمد بن سعيد ابن الدبيثي (ت٦٣٧هـ)، المجلد الثامن، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٦م.
- موسوعة حضارة العراق: التربية والتعليم، د. بشار عوادمعروف،المجلدالثامن،بغداد،١٩٨٥م.
- كتاب الوفيات، تقي الدين بن رافع السلامي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق صالح مهدي عباس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢م.
- موسوعة مدينة تكريت، مجموعة مؤلفين، المجلد الثالث، بغداد، دار الحرية، ١٩٩٧م.
- كتاب الرؤساء، الأسقف مار توما المرجى، تحقيق وتعريب البير أبونا، بغداد، ١٩٩٠م.
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي إصبع، ضبط وتصحيح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- العراقيون في مصر في القرن السابع الهجري، د. سحر السيد عبد العزيز سالم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩١م.